أسرة فقيرة

من حولِك أفراد من الشعب ينشطون كثيرا وينالون قليلا وهم مع ذلك قانعون.

1. كانت محبوبةُ امرأة نَصَفًا (1) تطوفُ بأهلِ القريَةِ و تصنعُ لَهُمْ من الذُّرَةِ (2) نوعا من الخبزِ، رقِيقًا مُستديرًا واسعا، لا تُحسِنُ أن تَصْنَعَ غيرهُ من القَمحِ . فكنتَ تَرَاهَا في آخر اللَّيْل مُلمَّة بِهذِهِ الدَّارِ أو تلكَ (3) ، تُهيـّئُ العجينَ ، و في أوَّل النَّهَـــار، جَالسة أمام الفرنِ تُديرُ بيدها السّريعة الصّنيعة (4) قطع العجين و تعُودُ مع الضُّحى الى بيتها و هي تحملُ معها طائفة من هذا الرّقيق، فتعيشُ عليها مع زوجها و بنيها في كثير من الأيّـام. و قد يُضيفُون إليه أحيانا شيئا من الإدام.(6)
2. و كان شعبانُ بنّاء متواضعا ، يقيمُ الدُّور التي تُتّخذُ من قطع الطّين الغليظ، يُضافُ بعضُها إلى بعض حتّى إذا ارتفعت و بلغت القامة مُدّ عليها شيءٌ من سعف النّخيل ، فاستقام منها بيت يأوي إليه البائسُون فيقيهم أيسر ما ينبغي أن يتّقُوا من عاديات الطّبيعة (7) . و كان رزقُهُ يُقتّر عليه تقتيرا (8) ، إذ هو يعملُ اليوم أو اليومين ليظلّ بعد ذلك مُتعطّلا الأيّـام و الأسابيع. و هو مع ذلك يُنفقُ على أهله من هذه النُّقُود القليلة يكسُوهُم إن استطاع، أو يُمتّعُهُم بقليل من الطّيّبات (9) إن قدر على شيء منها.
3. أمّا خديجة -ابنتُهُما الكبيرةُ - فهي تعملُ في دار من دُور اليسار (10) تذهبُ مع الصُّبح المسفر (11) ، فتبذُلُ كُـلّ نشاطها في خدمة أهل الدار، و تعودُ مع اللّيل المظلم إلى بيت أبويها. و كانت راضية بهذه الحياة ، باسمة لها على ما تشعرُ به من حُزن لا يُبينُ عنهُ لسانُها (12) . فكانت تُفكّر في بُؤس أبويها و إخوتها و لكنّها لا تُعبر عن خواطرها الكئيبة الحزينة بلفظ أو لحظ أو حركة.

و لا أدري أهي القناعةُ (13) بما سيق إلى أهلها من رزق، أم الصّبرُ على عاديات الزّمان... (14)

طه حسين (بتصرف)

www.madrassatii.com

الشرح :

1) امرأة نَصَف : من كانت في منتصف العمر
2) الذّرة : (القطانية – العبيدية)
3) ألمّ بالدّار : نزل بها لقضاء مدّة قصيرة
4) يد صنيعة : يد حاذقة و ماهرة
5) تستردّها منها حامية ناضجة : أي تخرج الخبز من الفرن سخنا و صالحا للأكل
6) الادام : ما يؤكل مع الخبز كالمرق فيجعله مستساغا للأكل.
7) يقيهم من عاديات الطبيعة : يحميهم من بردها و حرها و مطرها و رياحها.
8) كان رزقه يقتّر عليه تقتيرا : قتّر عليه الرّزق : أي ضيّق فيه و ناوله ايّاه بمقدار ضئيل و المعنى هنا أن مدخول شعبان كان طفيفا.
9) الطيّبات : الطيّبات من الرزق : ما لذّ و طاب منه.
10) دور اليسار : اليسار هو الغَنَاء- و دور اليسار : ديار الأغنياء
11) الصّبح المسفر: الصّبح الباكر- الطالع
12) حزن لا يبين عنه لسانها : خديجة حزينة لكن لا تظهر حزنها و لا تشعر غيرها به و لا تشكو حالها لأحد.
13) القناعة : قنع بحاله أي رضي بها...
14) الصّبر على عاديات الزّمان : تحمّل ظروف الدّهر و مصائبه و مكارهه بدون شكوى أو تبرّم.

www.madrassatii.com